

الوظيفية - أوصوالد ديكرود
Fonctionnalisme - Oswald Ducrot
ترجمة د/ محمد الكريم كبداني برآشد - تلمسان

مقدمة :

لا شك أن القارئ العربي الكريم عهد، في الفترة الأخيرة عبر قراءاته في الكتب و المجلات و الجرائد، موجة جديدة من الدراسات الحديثة و الكتابات العربية و غير العربية جعلت موضوعها الأساس علما جديدا في مظهره قديما في كثير من مضامينه، ذلكم هو ما دعي بالألسنية أو اللسانيات أو علم اللغة الحديث، على اختلاف في الاصطلاح من موطن إلى آخر و من مجمع إلى آخر، على حسب تنوع المشارب، والأسباب كثيرة و لا نراها من شجون حديثنا ههنا، و لا المقام متسع لها.

ونحن الباحثين في أرضنا العربية الطيبة نشيد بهذه الاهتمامات الفائقة ونوليها العناية كل العناية. ولهذا وللإفادة رمنا المبادرة إلى ترجمة هذه المدرسة اللسانية الموسومة (الوظيفية)، و التي وردت عن "أوصوالد ديكرود" في معجم له مع "تزيفيتان تودوروف" هو (المعجم الموسوعي لعلوم اللغة).

إن اللسانيات علم قائم برأسه، و من صفات العلم: الموضوعية، و التماسك، و الوضوح، و عدم التناقض. وتكمن أهمية هذه المدرسة في هذا العلم الواسع في وصف بنية اللغة المعرفة على أنها وسيلة تواصل؛ و هي في هذه الحال تسعى إلى تحليل كل الوحدات اللسانية، و العلاقات القائمة بينها، كما تصفها وصفا. وتغدو أهمية هذه المدرسة لسا لها من تطبيقات بل إن أسسها دال عليها ناسا.

لقد طعمنا هذه الترجمة بأمثلة عربية رأيناها أصيلة و ضرورية تزيد القارئ المعرب وضوحا و بيانا. و قد ذيلناها بهوامش تعليلية تفصل أمورا في أحيين و تحيل

عبد الكريم كبداني براشد

على مصادر و مراجع في أحيان أخرى، و تشرح في مرّات أخريات و تفسّر ما غمض من بعض المصطلحات.

وقد راعينا في التّرجمة، هاته، الدّقة في تعريب بعض المصطلحات، مع تزويد الهوامش و التعليقات ببعض النصوص المترجمة عن معجم "جـورج مـونين" ومعجم "فارناندو لازارو" و كتاب قواعد الفرنسية "لموريس قروفيش"، حرصاً منا على نقل مضمون المصطلحات الغربية لعلاقتها بلغاتها، دونما أن ننسى الامداد بما رأيناه مقابلات اصطلاحية عربية قديمة و حديثة مع شرح واف لكل ما ظنناه يشكل على القارئ .

من بين التجديدات اللّسانية عند فردينان "دي سوسير - 1857 - 1913 " Ferdinand - de saussure "إعلانه كون اللّغة وسيلة تواصل. "instrument de communication " هذا الدّور الذي كان المقارنون "comparatistes" يعدّونه دوراً خارجاً عن طبيعتها و غير أصيل فيها "dégénérescence". من هذا المنطلق، إذن، نلّفي أتباع "سويسر"، من أخلافه الذين طالما نسّمهم "الوظيفيين" "fonctionnalistes"، يعدّون دراسة أيّ لغة بحثاً في الوظائف المؤدّاة بوساطة العناصر والأقسام، و كذا الميكانيزمات الحادثة بداخلها.⁽¹⁾

إنّ هذا الميل يظهر بخاصّة عبر منهجية البحث عن الظواهر اللّفظية "phoniques" المعرفة، بدءاً، تحت اسم "الفونولوجيا" "phonologie"⁽²⁾، من لدن "تروبتسكوي 1890 - 1938 N.S. TROUBETZKOY"، و المطوّرة - كما هو معروف - من لدن "أندريه مارتينه 1908 ... A. Martinet"، و "رومان جاكوبسون 1896 ... R. Jakobson"⁽³⁾، و حلقة براغ 1926 "cercle de prague".

لنتساءل : ما هي الوظيفة "fonction" الرّئيسة في عملية التّواصل بوساطة الأصوات

الأساسية التي تكوّن، عبر تركيبها، السلسلة الكلامية "la chaîne parlée" ؟.

إنّ هذه الأصوات ليست هي عينها المتضمنّة معنى ما أو الحاملة له بأيّ حال من الأحوال؛ فعلى سبيل التمثيل إنّ الصّوت "a" في كلمة "bas"⁽⁴⁾ (أو الواو في الكلمة العربيّة "حول")⁽⁵⁾ لم يأخذا كلاهما، كلّ على حده، أيّ معنى و لن يكون بإمكانهما أن يأخذه ههنا، على الرّغم من أنّه بإمكانهما أن يأخذه في نحو حرف الجرّ "a" "préposition" (كمثل مقابله حرف العطف " الواو " في اللّسان العربيّ) .⁽⁶⁾

إنّ وظيفة هذه الأصوات و دورها الأوّل تمكينها إيّانا من تمييز هذه الوحدات المجردة من أيّ معنى، و ذلك أنّ صوّت "a" في كلمة "bas" يمكننا من تمييز هذه اللفظة من بين كلمات أخرى كمثل "bu"⁽⁷⁾ و "beau"⁽⁸⁾ و « boue »⁽⁹⁾ الخ ... (و الشّيء نفسه بالنسبة لحرف الواو في كلمة « حول » في لساننا العربي، بحيث تمكّننا هاته الواو من إقامة التّمييز بينها و بين كلمات نحو : "حمل" و "حصل" و "جبل" الخ (...).⁽¹⁰⁾ و عليه إذن، لم يتمّ اختيار هذا الصّوت سوى لأجل جعل هذا التّمييز «distinction» ممكنا.

إنّ لهذه الملاحظة الخطيرة نتائج، و ذلك أنّها تزوّد الألسني بمبدأ التّجريد "Abstraction"⁽¹¹⁾ بحيث إنّ الميزات الفيزيائية، التي تظهر عند نطقنا الصّوت "a"، ليست لها جميعها هذه القيمة التّمييزية، إذ اختيارها ليس موجّها دائما لأجل الرّغبة "intension" في التواصل سواء أنطقنا الصّوت "a" طويلا أم قصيرا "long ou court"، أم أماميا أم من خلف تجويف الفم "en avant ou en arrière de la cavité buccale"، من مقدّمته أم من مؤخّرتة "antérieur ou postérieur" ؛ بحيث نلاحظ في الفرنسية الحديثة أنّ هذا العمل لا يغيّر أصل الكلمة و هو يتّبعها "identité du mot"، مهما كان موقع هذا الصّوت "a" من الكلمة؛ ألا ترى أنّ عهد تمييزنا السّهّل بين "bas" و "bat"، عن طريق نطقنا فيهما صوت

"a" من الكلمة قد ولّى ؟ و من جهة أخرى، فإنّ تجاوز "voisinage" صوت "b" مع الصوت "a" يوجب عليه مجموعة من الصفات "traits" التي نلّفها في الصوت "u" في كلمة "bu"؛ هذه الصفات التي لا تستجيب، في الفرنسية على الأقل، لرغبة التّواصل.

و بهذا إذن، نجد الوظيفية تدفعنا إلى عزل الأصوات التي لها قيمة تمييزية "valeur distinctive"، أي المختارة لأجل السّماح بتوصيل معلومة ما "information"؛ وهذا العزل إنّما هو من بين ما نعزله من الصفات الصوتية الكائنة، فيزيائيا، في تلفظ ما "prononciation". هذه الأصوات إذن، هي، وحدها، المعدودة أصواتا تمييزية فونولوجيا. "phonologiquement pertinents". لقد وضع علماء الأصوات "phonologues" عملية الاستبدال "commutation" لأجل دراسة صوت "a" الفرنسي؛ و يحدث هذا بانطلاقنا من نطق معيّن لكلمة بها هذا الصوت عينه، و ذلك نحو نطقنا كلمة "bas"، ثمّ نطفق نغيّر هذا الصوت المنطوق في هذه الكلمة في كلّ الاتجاهات، شريطة ألاّ تؤدي هذه التّغييرات إلى الغموض و اللّبس "confusion" مع كلمة أخرى؛ و عندها نقول : إنّ الأصوات المتلفظ بها المتغيرة عن النّطق الأصلي لا تستبدل معها، و إنّما تستبدل معها سوى تلك الأصوات التي يحدث، عند إدخالها، التّمييز للمعاني "perception" كمثّل "beau" و كذا "bu" الخ ... و العملية ذاتها نعيدها مع الأدلّة الأخرى "signes" المتضمّنة الصوت "a" نحو "table" (12) و "car" (13) الخ ...

و عندها إذن نلاحظ، ما لم يكن متوقّعا و يصنع تعاليفا تجريبيا "empirique" للمنهج "méthode"، و ذلك أنّ هنالك جملة من التّلفّظات "prononciations" لا يمكنها أن تستبدل في أيّ دليل لغوي. إنّ هذه المجموعة تسمّى الصوتم أو الفونيم "a" "phonème"، بينما تسمّى عناصره متغيّرات "a" "variantes"، و الصفات التي تميّزها تعدّ لا تمييزية "non-pertinents"، و من بينها ما نسمّيه "المسهب المطول" "redondant"، و هو تلك الأصوات

المفروضة عن طريق السياق، أي عن طريق التجاور مع الصوت "b" مثلاً؛ أمّا الأخريات فإننا ندعوها "المتغيرات الحرة" "variantes libres"، نحو تلفّظات "a" المختلفة من حيث الطول فقط. إنّ الميزات الصوتية "phoniques" الموجودة في كلّ متغيّرات الصوت "a"، التي تميّزها، من حيث النطق، عن تلفّظات أصوات مثل "o" و "u" و "p" الخ ... هي المعدودة صفات تمييزية.⁽¹⁴⁾ وبينما نحن منطلقون من مبدأ دي سوسير القائم على ضرورة دراسة عناصر الكلام حسب وظائفها في إطار عملية التواصل و ضمنها، طبق الأصواتيون يطبقون مبدأ سوسيريا ثانياً هو مبدأ التّضاد "oppositivité" الذي نستكشف عبره، أنّ جوهر لسانيا ما "entité linguistique" لا يتكوّن من سوى ما يميّزه عن جوهر آخر. و نلاحظ حول ما يتعلّق بهذا التيار الفكري ما يأتي :

(أ) إنّنا لا نجده في أعمال البولوني "دي كورتناي 1845-1929 J.N. Baudoin de courtenay" الذي يعدّ رائد الفونولوجيا، إذ استنتج و هو يدرس الأصوات الأساسية للكلام "language"، من حيث وظائفها في عملية التواصل، ضرورة الاهتمام، قبلاً، بالطريقة التي تدرك بها هذه الأصوات بدلاً من الاهتمام بحقيقتها الفيزيائية. و ذلك أنّ هذا التجريد ليس معادلاً و لا مساوياً للتّجريد الفونولوجي : بل لقد استطعنا أيضاً أن نبرهن على أنّ الميزات المدركة و المحسوسة تتمايز و تتباين، سواء عن طريق الزيادة أو الخطأ، فيما يخصّ خصائصها التمييزية و يتعلّق بها.

(ب) إنّ الوحدات المدروسة من لدن الأصواتيين هي وحدات تمييزية، وظيفتها التّمييز بين الوحدات الحاملة لمعان، كمثّل الكلمات؛ و عليه يغدو طبيعياً جداً أن يكون الطّابع الوظيفي في هذه الوحدات هو ما تميّز به فيما بينها. إنّ الانتقال من المبدأ الوظيفي إلى مبدأ التّضاد بإمكانه أن يظهر غير طبيعيّ، إذا ما درسنا وحدات حاملة لمعان، أي أدلة لسانية، و فوق هذا وحدات دلالية خالصة محض. (ج) بل حتّى المبادئ الصوتية الخالصة "purement phoniques" يمكنها أن تكون وظائفاً، أخرى غير الوظيفية

التمييزية. و مثالنا على هذا الصفات المطولة "traits redondants" التي يكون بإمكانها كشف الرسالة "identification du message" و تحليلها تحليلًا صحيحًا، في حال كون الاتصال رديئًا "mauvaise transmission"، و هذا وفق اصطلاح "terminologie" نظرية المعلوماتية "théorie de l'information" ⁽¹⁵⁾، بحيث تمكن هذه الصفات المطولة من المقاومة ضد الضجيج "bruit".

و هو أيضا حال كثير من ظواهر علم العروض "phénomènes de prosodie" و عليه لا محالة أن تكون الصفات الصوتية "traits phoniques" غير التمييزية "non-pertinents" ذات وظيفة أساسية و رئيسة في عملية التواصل. لقد رام "جوجنهايم G.Gougenheim" تطبيق الوصف النحوي لمبادئ الوظيفة الفونولوجية "fonctionnalisme phonologique"، التي تتمثل فكرتها الأساسية في ضرورة مقارنة وظيفة عنصر نحوي ما "élément grammatical" مع العناصر النحوية الأخرى للغة، مادام المتكلم "locuteur" يختارها و ينتقيها مقارنة إياها بالآخرات؛ و هذا الاختيار هو، وحده، الذي يؤدي دورا في عملية التواصل. إن جوجنهايم يدعو كل مجموعة من العناصر النحوية تضادا ⁽¹⁶⁾ "opposition"، و يفرق وفق الثلاثية الصوتية "trichotomie phonologique" بين ثلاثة أنواع من التضاد. ففي بعض الأحوال يغدو اختيار عنصرا من العنصرين واجبا ومفروضا، ألا ترى مثلا أن الصيغة الدلالية "indicatif" ⁽¹⁷⁾ واجبة بعد عبارة : "je sais que ..."، (و لعلّ مقابلها في لساننا العربي هكذا : أعلم أنك تذاكر بامتياز) ⁽¹⁸⁾، كما أن صيغة المضارع المنصوب "subjunctif" ⁽¹⁹⁾ بعد عبارة : "je veux que ..." تصبح واجبة (و لعلّ مقابلها في العربية هكذا : أريدك أن تذاكر بامتياز) ⁽²⁰⁾، إذن إن هنالك خضوعا و تأثرا بفكرة العاملة النحوية "servitude grammaticale" ⁽²¹⁾؛ بينما في أحوال أخرى فإن العنصرين ممكنان، بيد أن اختيارهما لا يحدث فروقا دلالية "différence de"

"sens"، ففي الفرنسية الحديثة المنطوقة نقول هكذا، على الخاطر، "à volonté" :
 "si tu viens et que je sois là" ⁽²²⁾ أو "si tu viens et que je suis là" ⁽²³⁾. إنه بلا شك
 التغير الأسلوبي "variation stylistique" مقارنا بالتغير الحر "libre" عند علماء الأصوات.
 أخيرا يمكن للاختيار أن يؤدي إلى تمايز واختلاف في المعنى و مثالنا على
 هذا مثلا : "je cherche un livre qui a été écrit aux XVI siècle" ⁽²⁴⁾؛ إذن إن هنالك
 تضادا في المعنى و تباينا، أي إن هنالك اختلافات متميزة. و هذه التباينات الأخيرة،
 حسب جوجنهايم، هي، وحدها، التي تسمح بحدّ معاني المورفيمات المدروسة
 "morphème" ⁽²⁵⁾، كما أن الصفات التمييزية هي، وحدها، التي تحدّ المورفيمات. ومن هذه
 الأمثلة المتقدمة نلاحظ صعوبة توسيع المفاهيم الموضوعية "concepts" للوحدات
 التمييزية من لدن الأصواتيين و نقلها و تعديتها إلى الوحدات الدالة
 "unités significatives". كما نتفهم جذريا و بسهولة التمييز بين صفات الصوت "a"
 المتعلقة بمجاورته الصوت "b"، و تلك الصفات المتميزة صوتيا.

و لكن هل نستطيع القيام بالفصل و العزل "séparation" بين العاملة "servitude"
 التي تقتضي المضارع المنصوب "subjonctif" بعد عبارة "je veux que ..." و الاختيار
 الحر لهذا المضارع المنصوب في عبارة : "je cherche un livre qui ait été écrit aux
 XVI siècle" ⁽²⁵⁾، بحيث يتبين، ههنا، أن العاملة و الاختيار الحر لهما الأساس نفسه
 و البناء عينه "même fondement" أي فكرة "notion" اللاتحقّق المرتبطة بالمضارع
 المنصوب، إذ لا نستطيع شرح وظيفة المضارع المنصوب الحرّ و تفسيرها إذا لم
 نشرح، في الوقت ذاته، استعمالاته "emplois" الموجب فيها و نشير أيضا إلى الألسني
 "إميل بنفينيست E. Benveniste" الذي استنتج، و هو يدرس المدى المتوسط "la voie
 moyenne" في اليونانية القديمة، خلاصاته من الأفعال "verbes" التي تكون بها هذه
 الأصوات ضرورية، بحيث لا نلغي، عندها، لا مبنيا للمعلوم و لا مبنيا للمجهول "ni actif"

عبد الكريم كبداني برآشد

"ni passif"، إذ الاهتمام الوظيفي "souci fonctionnaliste"، وهنا، لا يؤدي إلى مبادئ التضاد و القيمة المختلفة المتفاوتة "valeur différentielle".

هذه الحقيقة هي التي جعلت عالم الأصوات "أندريه مارتينه يدخل مبادئ تحليلي ليست لها مقابلات و مضادات "contreparties" في الفونولوجيا، و ذلك عندما شرع يصنع نحواً وظيفياً "syntaxe fonctionnelle" ⁽²⁷⁾، بحيث يفترض أن كل متلفظ "énoncé" له وظيفة إيصال تجربة، محللاً إيّاها ومشخصاً لها "en l'analysant et en la schématisant"، و أن هذا المتلفظ مكوّن - فيما بعد- من مسند إليه "prédicat" ⁽²⁸⁾ يحدّد القضية "procès" التي يراها المتكلّم مركزية "central" في هذه التجربة. وغالباً ما يكون هذا المسند إليه مصحوباً بمجموعة من الفضلات و المتمّمات تؤدي دور المسند "complément"، وكل نوع من هذه المسندات المتمّمات له دور الإمداد بمعلومات خاصة ⁽²⁸⁾ تتعلّق بهذه القضية "procès"، و ذلك نحو الفاعل "sujet"، إذ إنّ هذه الوظائف ليس بإمكانها، عموماً، أن تثبّت عن طريق الاستبدال "commutation"، وكمثال على هذا نجد أن معظم التعابير "expressions" التي تستطيع أن تؤدي دور ظروف الزمان "compléments de temps" لا تستطيع أن تؤدي دور ظروف المكان "compléments de lieu"، إذن ليس هنالك من معان مطلوبة و لا مرجوة إذا كانت هاتان الوظيفتان قابلتين للاستبدال أو غير قابلتين له؛ والشئ نفسه ينطبق على الوظيفة الفاعلية "fonction - sujet"، و كذا وظيفة المسند إليه "fonction-prédicat".

فلا مريّة إذن أن الوظيفية في النحو، لا تسمح، أبداً، بإيجاد المسألة "axiome" ⁽³⁰⁾ السوسيرية الآتية:

"في لغة ما ليس هنالك سوى الاختلافات". ⁽³¹⁾ و لحلّ الشئ ذاته بإمكاننا أن نقوله في علم الدلالة "sémantique"، حيث نجد بعض الألسنيين قد حاولوا إدراج مناهج الفونولوجيا وإقحامها كما هي.

وعلى هذا يعتقد "بريتو Prieto" أن الاستبدال يمكن أن يطبق على المعنى أكثر من أن يجري على الخاصية الصوتية للكلام "aspect phonique"، وهي فكرة كانت موجودة، من قبل، عند "لويس يلمسلف 1899 L.Hjelmslev 1965" (32).

لنسم، إذن، المعلومة الكاملة، الموصولة أثناء استعمالنا المتلفظ في ظروف معينة، رسالة. سنلاحظ، حينها، أن المتلفظ "rendez-le-moi" (33) يستعمل، في بعض الأحوال، لأجل إيصال الرسالة و تبليغها، كأمر إرجاع القلم للمتكم على سبيل التمثيل. و على هذا ينبغي للألسني أن يتساءل عن نوع الوظيفة التي أدت في إيصال هذه الرسالة بواسطة المتلفظ نفسه الذي يفترض فيه الاستقلال عن الظروف "circonstances". و وهنا يعود "بريتو" إلى مبدأ الاستبدال، لولا أنه يلجأ، هذه المرة، إلى تغيير الرسالة بدلا من تغيير البيانات الصوتية "manifestation phonique"، و ظواهرها الفونولوجية، ملاحظا التبدلات "modifications" التي تقتضي تغييرا ماديا "changement matériel" في المتلفظ. وهكذا فإن فكرة استبدال "الكراسة" أو "الكتاب" "بالقلم" لا تقتضي تغييرا كهذا. و على هذا نسمي "القلم" عنصرا لسانيا غير متميز في الرسالة. و مقابل هذا تغدو فكرة اقتضاء موضوعا واحدا "objet" فكرة تمييزية، مادام أن تعويضها بفكرة "الجمع" "pluralité" يقتضي أن تستبدل أداة تعريف الجمع "les" بأداة التعريف المفردة "le". إن الصفات المميزة هي، وحدها، المرتبطة بالمتلفظ عينه، مما يعني أن الوظيفة الدلالية للمتلفظ تظهر من خلال الاختلاف بين الرسائل و التباين فيما بينها مع متلفظات أخرى، و ليس أبدا من خلال تلك الرسائل التي يكون قابلا لها و متأثرا بها.

نلاحظ أيضا أن تطبيق الاستبدال و إجراءه يؤدي بالعالم "بريتو" إلى تقديم كل متلفظ على أنه رزمة "paquet" ذات أشكال و خصائص تمييزية "caractères pertinents" مستقل بعضها عن بعض، و تتشابه في هذه الحال مع الصفات التمييزية للفونيمات، إذ يتضح جليا، أن وظيفة متلفظ ما مرتبطة أساسا بالطريقة التي ترتبط بها العناصر الدلالية

"éléments sémantiques" فيما بينها ؛ لذا يجب على "بريتو" أن يرجع إلى مفاهيم "notions" لا تقوم أساسا على الاستبدال و لا تقوم عليه تماما. و هكذا يتحدث هذا العالم عن صفات تقابلية "traits contrastifs"، إلى جانب تلك الصفات التمييزية ؛ هذه الصفات التقابلية التي تفسر وجهة النظر "point-de-vue" التي ترتقب وفقها الصفة المميزة. ففي مضمون "contenu" "rendez-le-moi" و محتواه يضع وحدة "unité"، أي (موضوعا) مفردا "objet singulier"، بحيث تغدو لفظة (موضوعا)، الواردة بين قوسين، صفة تقابلية محدّدة عودة صفة الأفراد "le caractère singulier" على موضوع الفعل "objet du verbe". إذ لا نلاحظ جيّدا نوع الاستبدال الذي سيظهره هذا العنصر؛ و ههنا أيضا لا تتلاقى الوظيفية و مبدأ التضاد "oppositivité" إلّا لماما و عبر ظرف قصير جدًا.

و يتجلّى تباين الوظيفية و تضادها في اللسانيات الوظيفية المعرّفة من لدن أحد تلامذة "سوسير" ألا و هو "هـ. فري H. FREI" الذي كان أقلّ اهتماما بوصف اللّغة مقارنة مع اهتمامه بآلية اللّغة و وظيفتها و عملها "fonctionnement" أي الطريقة المستعملة فيها في مرحلة معيّنة "époque donnée" ⁽³⁴⁾. ولهذا فإنّه يدرس كلّ ما يشكّل نشوزا و خلافا في اللّغة التقليدية "traditionnelle" غير مكتف بالكلام الموسوم بصفة الصحيح "correct" ⁽³⁵⁾، و ذلك عبر دراسة الأخطاء "fautes"، والتجديدات "innovations" و كذا الكلام الشعبي "langage populaire"، ولغة الشارع "argot"، ولغة الشارع والأحوال الغريبة "cas insolites" و تلك المتنازع فيها و المختلف حولها "insolites" دونما إغفال الإرتباكات النحوية "perplexités grammaticales" الخ ...

بل إنّه مهتم أيّما اهتمام بهذه التفاوتات و المفارقات "écarts" ضمن تصريحها بما ينتظره الفاعل المتكلّم "sujet parlant" من الكلام غير أنّه لا يجد ما كان ينتظره و لا يلفيه. فتتحول هذه المفارقات معلما "indice" على الحاجات التي تحكم ممارسة الكلام وتضبطه. إنّ أهمّ الضّرورات "besoins" اللّسانية و الحاجات تهدف إلى ما يأتي :

(أ) - المماثلة "assimilation" ⁽³⁶⁾ : التي تؤدي إلى توحيد شكل نظام الأدلة "uniformiser le système des signes"، مما يستلزم الخلق القياسي "création analogique" ⁽³⁷⁾ وكذا العناصر المتتابعة في الخطاب "discours"، وكمثال على هذا ظاهرة التطابق النحوي "accord grammatical" ⁽³⁸⁾ (ب) - التّخالف "différenciation" : ⁽³⁹⁾ لأجل ضمان الوضوح "clarté" ينبغي علينا أن نميّز، صوتياً، الأدلة التي لها معان مختلفة، كما يجب علينا أن نميّز، دلالياً، الأدلة التي لها حقيقة صوتية "réalité phonique" مختلفة، مع إدخال فروق و عوازل "séparation" في السلسلة الكلامية.

(ج) - الاختصار "brièveté" ويكون في بعض الأحيان إما نتيجة الحذف "ellipse" ⁽⁴⁰⁾، أو نتيجة المضمّر "sous - entendus" ⁽⁴¹⁾، وكذلك نتيجة اختلاف كلمات مركبة "mots composés" التي تتحاشى الروابط النحوية "liaisons syntaxiques" ⁽⁴²⁾.
(د) - اللاتغيّر "invariabilité" ⁽⁴⁴⁾: الذي يمكن، بكل ما أوتي من قوة، من إعطاء الشكل نفسه للدليل عينه، مهما كانت وظيفته النحوية "fonction grammaticale".

(هـ) - التعبيرية "EXPRESSIVITE" إن المتكلّم يسعى إلى صبغ خطابه وطبعه بشخصيته، وهذا على الرغم من تلك الموضوعية في الرّمز "objectivité du code". ومن هنا تسمى فكرة إمكانية اختراع أشكال، التي تعطي بدورها، تفاوتاً ثابتاً "distorsion constante" بين الأدلة "signes" والعبارات "locutions" التي يتوهم الفاعل المتكلّم، عبرها، إعادة امتلاك اللغة المشتركة، واردة و قائمة.

كلّ هذه الوظائف، التي غالباً ما تكون متعاكسة "antagonistes" والتي لا تكفي بشرح الأخطاء و تعليلها، بل تتجاوزها إلى العناية بمجموعة كبيرة من خاصيات الاستعمال الحسن "aspect du bon-usage" المؤلف من أخطاء الأسس، تذهب بالأسبانية بعيداً عن ذاك الإطار المقترح من لدن "سوسير"، بحيث تتجاوز هذا إلى نحو "أندريه مارتيني" و الدلالة عند "بريتو". بل إنها تدفع الخاصية النظامية للغة

"caractère systématique de la langue"، التي كان "سوسير" يعدّها أساسية و هامة، إلى مرحلة تالية.

الهوامش

- (1) - "إن اعتبار الوظيفة و الاعتداد بها، يقود إلى كون فكرة دراسة حال لغة ما، ذات قيمة تفسيرية، "explicative"، و ليس فقط ذات قيمة وصفية "descriptive". in Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. par Oswald DUCROT et Tzvetan TODOROV. P.42
- (2) - الفونولوجيا "phonologie" هي علم وظائف الأصوات الذي يختلف عن الفونيتيكا "phonétique" التي تعني بمخارج وصفات الأصوات في أي لغة. راجع الفرق بينهما مثلاً في :
Georges MOUNIN, Dictionnaire de la linguistique. Phonétique / Phonologie P. 260
و أيضاً : و د/عبد الرّاجحي "فقه اللّغة في الكتب العربيّة" ص.20.
- (3) - انظر د/ميشال زكريا " الألسنية، علم اللّغة الحديث، و أندريه مارتينه "مبادئ اللّسانيات العامّة". في فقرة 2-11 "علم نطق الأصوات" ص 44 و ما يليها، وكذا فقرة 3-5 "علم تحليل الأصوات" و ما يليها، على سبيل التمثيل.
- (4) - "bas" من معانيها : جورب و أسفل، و بتمهّل، يحدّدّها السّياق.
- (5) - إضافة من المترجم يزداد بها السّياق وضوحاً لدى المعرّب.
- (6) - إضافة كمثّلها من المترجم يتّضح بها السّياق.
- (7) - "bu" معناها : شرب فهو مشروب.
- (8) - "beau" معناها : جميل.
- (9) - "boûe" معناها : و حل، طين، ر و اسب ...
- (10) - إضافة من المترجم يتّضح بها السّياق.
- (11) - التجريد هو خطوة بعد التصنيف، و هو تكوين أفكار كلّية باعتمادنا تصنيف

الوظيفية / ديكرود

المدرجات الجزئية، لكي نستطيع تسمية هذه الأصناف بأسماء اصطلاحية، فنبنّي على هذا، تفكيرنا المجرد الذي يبني الإنسان و الأنظمة فيما بعد:

انظر في هذا : د/تمام حسّان، الأصول دراسة ابستمولوجية في الفكر اللغوي عند العرب. النحو- فقه اللغة- البلاغة. فقرة "التصنيف قبل التجريد" ص 56 و ما يليها.

(12) - table معناها : طاولة، منضدة، لوح، خوان.

(13) - car معناها : شاحنة ركّاب أو حافلة قطار، على عكس كلمة "car" في الإنكليزية التي تعني السيّارة الصّغيرة.

(14) - لمزيد من التوسّع راجع كتاب :

Oswald DUCROT et Tzvetan TODOROV. OP. Cit 221

حيث يميّز المؤلّف بين كلمتي "doux" التي تعني : اللّطيف والوديع وكلمة "tout" التي تعني الكلّ و كذا بين كلمتي "vide" بمعنى: فارغ و كلمة "vite" التي تعني : السّريع، وهذا عن طريق الصّفات التمييزية بين صوتي "d" و "t" في الأمثلة المتقابلة.

(15) - إذا أعطينا رقم عنواننا في شارع لا يحوي سوى منزل واحد، فإنّ هذا الرّقم لن يقدّم أيّ معلومة لا لشيء سوى لاحتواء الشارع على منزل واحد ليس إلّا. توسّع في هذا

عند: Georges MOUNIN. "Dictionnaire de la linguistique" P. 177 - 178

(16) - لعلّ هذه الثلاثية الصّوتية كامنة في الاستبدال "commutation" و الحشو والإسهاب

"redondant" و المتغيّرات الحرّة "variantes libres" و هي ظواهر كانت قد تقدّمت في: Oswald DUCROT et Tzvetan TODOROV. OP. Cit 43.

(17) - الصّيغة الدّالية "indicatif" معناها: "الصّيغة الفعلية للحركة الحادثة في الحال".

تعريب المترجم عن: Maurice GREVISSE, précis de grammaire française P. 182

(18) - إضافة من المترجم يتّضح بها السّياق.

(19) - "المضارع المنصوب" "subjunctif" هو: "ما يعبر، عموماً، عن حال منويّة ومقدّرة في

ذهن الإنسان، كمثّل بعض ميول النّفس و أهوائها نحو: الرّغبة، والتّمني، والإرادة الخ

عبد الكريم كبداني برأشد

... "تعريب المترجم، عن: Maurice GREVISSE, précis de grammaire française P. 191

(20) - إضافة من المترجم يتضح بها السياق.

(21) - "servitude grammaticale" أو "العاملية النحوية" : و لعلّ مقابلها في العربية العوامل اللفظية كمثل رفع الفاعل بالفعل، و العوامل المعنوية كرفع المبتدأ بالابتداء عند البصريين، و إن كانت عند بعض النقاد اللغويين من المتأخرين : "لم يقل بعملها عاقل، لا ألفاظها و لا معانيها كأنها لا تفعل بإرادة و لا بطبع". ابن مضاء القرطبي "الرد على النحاة". ص 87-88.

و قارنه بالدكتور "صباحي الصالح" دراسات في فقه اللغة ". ص 134 و ما يليها.

(22) - "je sois" هو مضارع منصوب "subjunctif".

(23) - "je suis" صيغة دلالية حالية "indicatif".

(24) - "qui a été écrit" : هو ماض مركب "passé composé" من الفعل المساعد "Auxillaire" "Avoir" و كذا الفعل المساعد "Etre"، في زمن الصيغة الدلالية الحالية "indicatif".

(25) - مورفيم "Morphème" : هو وحدة نحوية أو حرف معنى. مثل واو الجمع في يدعون ... انظر مارتينه مبادئ اللسانيات العامة. فقرة 1-9 ص 19-20. و فقرة 4-19 ص 117-118.

فعند فندريس مثلاً، لم يكن للمورفيمات أي معنى، فلم تكن سوى عناصر نحوية، أي كلمات جوفاء من أي معنى. بينما اليوم لم يصبح هذا التصور قائماً. وعند الألسنيين الأمريكيين غالباً ما يستعمل هذا المصطلح بالدلالة نفسها التي لمصطلح مونيم "Monème"، أي الوحدة الدالة، تلك الوحدة الصغرى المقطعة تقطيعاً أولياً "première articulation"، يجل لها شكلاً "forme" أو الدال "signifiant" و "ذو" "sens" أو دلالتها "signifié".

الوظيفية / ديكر

و عند مارتينه نلفي المورفيمات ضربا من المونيمات النحوية، و عليه فهي مقابلات لمصطلح اللكسيمات⁽¹⁵⁾ "lexèmes" أي الوحدات المعجمية. انظر في هذا :

Georges MOUNIN « Dictionnaire de la linguistique » Morphème P. 221 et

Monème P. 218 - 219 (تعريب المترجم)

(26) - "qui ait été écrit ..." : هو ماضي المضارع المنصوب "passé du subjonctif" مركب من المساعدين "Avoir" و "Etre".

(27) - "Syntaxe fonctionnelle" أو النحو الوظيفي لمارتينه "مستوحى من مدرسة براغ، و يصف هذا النحو الوسائل التي يمتلكها المتكلم "locuteur" لأجل إيصال تجربته المتعلقة بالواقع. ما هي العلاقات القائمة عن طريق مختلف الوحدات الدالة "Monèmes" الموجودة في رسالة ما "Message"، أو ما هي وظيفتها ؟ هذه الوظائف، إذن، تدرس، انطلاقا من خاصية الاستقلال النحوي "Autonomie syntaxique"، و لكن أيضا من خلال مواضع الوحدات الدالة، وكذا خاصيات الشكل و المعنى "critères de forme et de sens" (الوحدات الدالة الوظيفية) "Monèmes fonctionnelles".

" انظر . Georges MOUNIN Dictionnaire de la linguistique. P. 319

ثم إن الوحدات الدالة الوظيفية "لها دور تعيين الوظيفة النحوية لوحدات دلالية أخرى. ففي "المتلفظ" "énoncé" : "elle part en voyage" " هي ذاهبة في رحلة " نلفي أن الوحدة

الدلالية "En" تعين وظيفة الوحدة "voyage" بالنسبة للوحدة "Unité" "part" انظر :

Georges MOUNIN, Dictionnaire de la linguistique,

(28) - "prédicat أو المسند إليه، " " و يقصد به في التركيب ذلك العنصر المركزي والأساسي في الجملة، بحيث تتحدد بوساطته وظائفها. إن العنصر الذي يعد سندا إليه هو ذاك المستقل عن جميع العناصر الأخرى، و كذا الذي تترتب وفقه عناصر الجملة و تنتظم، ثم إن غيابه يزيل المتلفظ و يلغيه. و عليه يغدو ذا ثلاث خاصيات : 1) مستقل و مركزي 2) و 3) و ضروري. و إنه لا ينتمي بالضرورة إلى الأفعال كمثل "viens"

عبد الكريم كبداني برآشد

"ici" (أي تعال هنا) و "je regarde la mer"، (أي أتأمل في البحر)؛ بل قد يكون منتميا إلى الأسماء كمثل "pitié pour lui" (أي هلا أخذتكم الرأفة به)

Georges MOUNIN, Dictionnaire de la linguistique. P. 267-268

ثم "على الرغم من أن العلاقة مسند - مسند إليه هي الأكثر شيوعا في لغات العالم، إلا أنه من الخطأ الاعتقاد بأنها تصلح في جميع اللغات دون استثناء. و توجد لغات تتألف فيها الجملة العادية من وحدة دالة واحدة دون أن تكون هذه الجملة على سبيل الاختصار أو في صيغة الأمر. و في مثل هذه اللغات تقول مثلا : "مطر" و تعني أنها تمطر، وتقول "ثعلب" و يكون القصد "هذا ثعلب" أي أن وحدة دالة واحدة تؤلف الجملة هنا. أنظر : مارتينه "مبادئ اللسانيات العامة". فقرة 4-28 ص 126 و 127.

وقارنه بفقرة 4-26 و هامشها وانظر فقرة 4-27 ص 126 و كذا فقرة 4-29 ص 127. و لكن في العربية اختلافا يخص قضية الإسناد، و ذلك أن هنالك مدارس نحوية، كما تعلم، تختلف في أمره بحيث نلاحظ على مستوى المسند أن "الجملة الفعلية هي الجملة التي يدل فيها المسند على التجدد، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا متجددا". د. مهدي المخزومي "في النحو العربي. نقد و توجيه". ص 041. و أما الجملة الاسمية فهي التي يدل فيها المسند على الدوام و الثبوت، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا ثابتا غير متجدد. المخزومي، في النحو العربي ص 42.

ثم إن المسند إليه في الجملة الاسمية هو المبتدأ و في الفعلية الفاعل غالبا. توسّع في هذا في المخزومي "في النحو العربي" من ص 39-049. و قارنه أيضا بالدكتور عاطف مذكور "علم اللغة بين القديم و الحديث"، ص 174. (29) - "نسمي حاملا للإعلام كل ما يؤدي إلى تخفيض درجة الشك من خلال استبعاد احتمالات معينة ... فإذا كنا إزاء سياق لا يمكن أن تظهر فيه سوى "نعم" أو "لا" و كانت كلتاها على درجة واحدة من الاحتمال أو التوقع فإن مقدار الإعلام عند استعمال "نعم" أو "لا" يساوي الوحدة المطلوبة".

- أندريه مارتينه "مبادئ اللسانيات العامة" فقرة 6-10 ص 186.
- و قارنه بكتاب : Georges MOUNIN, « Dictionnaire de la linguistique ». P. 177-178.
- (30) - يصطلح لها ميشال زكريا مصطلح "قضايا أولية" مرة و "مسلمات" مرة أخرى انظره في كتابه "الألسنية علم اللغة الحديث". ص 289-290 في معجم المصطلحات.
- (31) - انظر هذا مثلا في صفحات 23 و 127 و ما يليها و 150-152 و قارنها بصفحة 307 و ما يليها من كتاب:
- Ferdinand DE SAUSSURE « cours de linguistique générale ». P. 307
- (32) - "يلفت" يلمسلف ... إلى وجود صلة معينة بين شكل التعبير و شكل المحتوى، تقوم على مبدأ الاستبدال ... مثلا، إن استبدال /ن/ في نال بـ /ق/ في قال، ينجم عنه تمييز في مستوى التعبير بين "نال" و "قال".
- ميشال زكريا "الألسنية" ص 249 و هامشها رقم 02.
- (33) - " أرجعوه إليّ ".
- (34) - أي الدراسة الآتية التي كان سوسير أكد عليها من قبل. انظر مثلا :
- SAUSSURE « cours de linguistique générale » P. 145-150 et P. 161 et P. 225
- (35) - و هذه التقنية تقوم أساسا على الدراسة الإحصائية التي تركز في الخطأ و الصواب على السواء، حتى تستخرج الأخطاء الفادحة انظر : MOUNIN « Dictionnaire de la linguistique » P. 157-158. تعريب المترجم بتصرف.
- و قارنه بكتاب "التركيب غير الصحيحة نحويا في الكتاب لسيوييه" في الفصل العاشر "التركيب غير الصحيحة نحويا و سنن العرب في كلامها" ص 255 و ما يليها ...
- (36) - المماثلة "assimilation" و فيها يتجاوز صوتان بحيث يؤثر ثانيهما في أولهما، فيحدث تغيرا في المخرج أو الصقة حتى يتحقق الانسجام الصوتي بينهما، و يدعى هذا النوع من التأثير رجعيا "regressive"، كما قد يتبع الثاني الأول و حينها يدعى التأثير تقدما "progressive". و هذه ظاهرة تعرفها كل اللغات ... و في اللغة الانجليزية نلاحظ أن

عبد الكريم كبداني برآشد

الصَّوت "S" يتحول في النطق إلى "Z" كما في : dogs،pens ، و ذلك لأنَّ الصَّوت "S" صوت مهموس وقد سبقه صوت مجهور مثل "G" ، "N" فتأثر به و صار مجهورا مثله فتحول إلى صوت "Z" ليتحقق الانسجام بين الصَّوتين". د. عاطف مدكور ، علم اللّغة بين القديم و الحديث. ص 246.

(37) - " إنَّ الخلق القياسي "Création analogique" هو إيجاد وحدة لسانية " Unité " linguistique انطلقا من وحدة لسانية موجودة قبلا، بحيث تكون العلاقة الجديدة بين الوحدات هي نفسها التي كانت موجودة من قبل و بالطبيعة نفسها. ففي الفرنسية الكندية المنطوقة نجد أنَّ المشتقين "Magasiner" و "Magasinage" استحدثا انطلقا من الاسم "Magasin" عن طريق قياسهما بوحدة كمثل "lessiver" و "lessivage" من "lessive" MOUNIN « Dictionnaire de la linguistique » P. 25.

إنَّ المماثلة و المخالفة و الادغام هي تغيّرات تركيبية تحصل عن طريق التَّحوّل في النظام الصَّوتي نتيجة تعاقب الأجيال من جرّاء تعاملهم مع اللّغة. و قد عرف علماءنا القدامى هذه الظاهرة و عالجوها تحت مسمّيات مختلفة منها "الإبدال" و "الإدغام" و "المضارعة" و "التقريب".

فالإدغام ظاهرة من ظواهر المماثلة يفنى فيها الصَّوتان المتجاوران فناء تامّا و كليّا، والدليل أنَّ المحدثين يسمّون الإدغام "المماثلة الكاملة".

انظر سيبويه الكتاب 4 / 426 و ابن يعيش شرح المفصل 10 / 121.

(38) - "إنَّ ظاهرة التطابق مرتبطة بمناسبة الأشكال بين تلك الوحدات المرتبطة نحويا تكون هذه الأشكال عديدة على مستوى الكتابة أكثر منه على مستوى النطق إنَّ التطابق هو علامة نحوية ملازمة "inhérent" للإسم".

MOUNIN « Dictionnaire de la linguistique » P. 6 - 7

و لآربه بمارلييه "مبادئ اللسانيات العامّة" ص 100 - 101 ف "4 - 5".

(39) - يتميّز "التخالف" "Différentiation"، و هو من اصطلاحاتنا المستحدثة، عن المخالفة

"Dissimilation" بما يهتم به من فونيمات متجاورة "en contiguïté" فمثلا نجد "E" المنبورة "tonique" والحرّة "libre" المنحدرة من "Me" اللاتينية تصبح "ei" عن طريق التقاء مصوّتين "par diphtongaison"، ثمّ تصبح "oi" عن طريق التّمايز، وذلك بتحوّل "E" إلى "O" كي تتميّز عن "I". MOUNIN « Dictionnaire de la linguistique » P. 107

بينما نلّفِي المخالفة "Dissimilation" ظاهرة معاكسة للمماثلة من حيث الاتجاه فإذا كانت المماثلة تسعى إلى التّقريب بين الأصوات، فإنّ المخالفة تروم تغيير أحد الصّوتين المتماثلين إلى صوت آخر و ذلك مثل قولهم في "عنوان" "علوان" . و لعلّ العرب الأوّل عرفوا هذا المصطلح تحت أسماء أخرى كمثّل "كراهية اجتماع المثليين" أو "كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد" و هكذا ...

(40) - "هو حذف كلمة أو أكثر تكون أساسية في تكوين جملة عادية، فأحيانا نجد أنّ الفاعل هو المحذوف مثل "fais ce que (tu) dois" أي "افعل ما يجب عليك فعله". و أحيانا يحذف الفعل كمثّل "combien (coûte) ce bijou" أي: "كم ثمن هذه الحلية" و أحيانا يحذفان معا نحو: "(qui est) loin des yeux (est) loin du coeur" "أي من يكون بعيدا عن الأعين يكون بعيدا عن القلوب".

GREVISSE Précis de grammaire française P. 49

و قارنه بـ : MOUNIN « Dictionnaire de la linguistique » P. 122

(41) - في النّحو القديم نسمّي الضّمّني "entendu-sous" أو المفهوم أو المسكوت عنه في جملة ما، ذاك الشّيء المفهوم غير المعبر عنه صراحة، و لكنّه مقحم عن طريق التّأويل الدّلالي، أو عن طريق الإطار التركيبي و النّحوي الذي تنتمي إليه هذه الجملة. فمثلا في الجملة الأمرّة الآتية "venez demain à cinq heures" أي: "تعالوا غدا عند الساعة الخامسة". نفهم أنّ الفاعل "Nous" أي "نحن" مفهوم و مستشف من خلال المرجعية التركيبية للجملة. كما أنّ التّأويل الدّلالي يمكّننا من احتمال ظرف مكان يلحق بهذه الجملة

عبد الكريم كبداني براشد

كمثل "à la maison" أي: "إلى البيت" أو "chez moi" أي: "عندي". و كل هذا يحدده السياق.

"إن الخاصية المميزة لكافة التعبيرات أنها تدخل في علاقة مع الأشياء الأخرى التي تمثلها أو تشير إليها".

هـ.ب. ريتمان "منهج جديد للدراسات الإنسانية ص 162 - 163".

(42) - "عملية نطقية" "traitement articulatoire" تسعى إلى نطق الصامت الأخير العادي "consonne finale ordinaire" غير المنطوق في الكلمة السابقة أمام الصائت الأولي "voyelle initiale" لكلمة ما، قصد تحاشي الوقوع في ظاهرة "تعاقب مصوتين" "Hiatus" وذلك نحو "les enfants" حيث تنطق هكذا: "Lezafa"....

MOUNIN « Dictionnaire de la linguistique » P. 204.

و قد ترجم مصطلح "... liaison" إلى الإسبانية باسم "ligazon" من لدن "D. Alonso" عام 1951. كما ترجمه "S. Gili Gaya" باسم "Enlace" و إن كان استعمال المصطلح الفرنسي أمرا مطردا متلبا عند الإسبان. أنظر :

Lazaro Carreter Diccionario de terminos filologicos. P. 263

و قارنه بمارتينه "مبادئ اللسانيات العامة". فقرة 4 / 035 ص 133 - 34 و فقرة 5 / 021 ص 163 - 164.

(43) - "في لغة ما تسعى بنيانية يلمسلف "glossématique" إلى إدراك الثوابت أي تلك العناصر البسيطة الثابتة التي يمكن لجميع عناصر اللغة أن تتشكل منها... فمثلا إن كلمة "revue" أي: "مجلة" أو "نشرة" = "imprimé" أي: "مطبوعة" + "périodique" أي: "دورية" + "non-quotidien" أي: "غير يومية" الخ."

MOUNIN « Dictionnaire de la linguistique » P. 183

(44) - إن التعبيرية هي إحدى الوظائف الست للمرسلة اللغوية التي تكلم عنها رومان جاكوبسون، و تتمحور الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية حول التركيز في طبائع و مواقف

الوظيفية / ديكر

المرسل "destinateur" بإزاء ما يقوله و يتحدث عنه. فهي وظيفة تشير إلى موقفه من القضايا التي يخوض فيها.
انظر مثلا : ميشال زكريا "الألسنية علم اللغة الحديث" ص 054.